

بذل الجهد في طلب العلم

لا شك أن العلم الشرعي هو علم الكتاب والسنة، ووسائل ذلك، رد بعض العلماء كابن عبد البر -رحمه الله- على من يركز على بعض العلوم الآتية كقول بعض الشعراء: وإذا طلبت من العلوم أهمها فأهمها منها مقيم الألسن انتقده، وقال: فإذا طلبت من العلوم أهمها فأهمها عند التقي المؤمن علم الديانة يا فتى فاطفر به إلى قوله: هذا الصحيح ولا مقالة جاهل فأهمها منها مقيم الألسن لو كان ذا فقه لقال مبادرا فأهمها منها مقيم الأدين ويقول بعض العلماء شعرا: كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين يركز على العلم الشرعي الذي رواه العلماء بأسانيدهم، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- . ويقول أيضا بعضهم: العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين النصوص، وبين رأي فقيه فتتواصى بأن يكون تنافسنا في العلم الشرعي، الذي مدحه الله تعالى ومدح أهله، ونعرف أنه لا يُنال بمجرد التمني، بل لا بد أن يكون له وسائل ينال بها. روي عن الإمام الشافعي -رحمه الله- أنه قال: العلم بطي اللزام، بعيد المرام، لا يدرك بالسهام، ولا يورث عن الآباء والأعمام، إنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس، ولا تغرس إلا في النفس، ولا تسقى إلا بالدرس، ولا يحصل إلا بالاستناد إلى الحجر، واقتراش المدر، ولا يحصل إلا لمن أنفق العينين، وجثا على الركبتين إلى آخر كلامه -رحمه الله- يمثل صعوبة الحصول على العلم، وأنه لا يحصل بالتمني، وإنما يحصل ببذل الجهد. وقد كان السلف -رحمهم الله تعالى- يبذلون الجهد في تحصيل العلم، فيسهرون الليالي في المذاكرة، ويقطعون المسافات الطويلة التي تستغرق شهرا، وأشهرا في سبيل الحصول على شيء من الأحاديث النبوية التي لم تكن في بلادهم، ويتغربون عن بلادهم الشهر، والأشهر، وربما السنة، والسنوات، حتى ذكروا أن محمد بن إسحاق بن منده تغرب عن بلده في طلب العلم أربعين سنة، ثم عاد بعدها، وقد حمل بعيرا، أو أكثر من الكتب التي تحصل عليها، إما نسخا، وإما شراء أو نحو ذلك، كل ذلك يدل على أنهم تعبوا في تحصيل العلم. في بلادنا، وفي زماننا هذا -والحمد لله- لا يحصل تعب، ولا مشقة؛ لوجود الوسائل التي تنقل الإنسان من مكان إلى مكان في أقرب وقت، وكذلك أيضا الوسائل التي يتوصل بها إلى الاتصال بمن يريد، فيسأل عن ما يريد، وهكذا أيضا انتشار وسائل العلم: كالكتب التي يسر الله تعالى وجودها، وطبعها، ونشرها، وكالأشرطة، وما أشبهها فأصبح العلم الشرعي في متناول الأيدي يتناوله، ويحصل عليه من أراده بدون كلفة، أو مشقة.